تكوين نعيمة:

ولا يتبقى لكى نلم بحقيقة نعيمة النقدية إلماما كاملا إلا أن نلقى بعض الضوء على تكوينه الثقافى والروحى ، وهو ذلك التكوين الذى لابد أن يتضح فى نقده مادمنا قد قررنا أنه يؤثر منهج التأثرية الذاتية ويؤمن بأن لكل ناقد غربال الذى يستمده من ذات نفسه .

وتكوين ميخائيل نعيمة الروحى والثقافى تكوين غنى معقد ، فهو يجمع فى ثقافته بين الشرق وتراث الغرب ، بل يجمع بين التراث الأوروبى الأمريكى والتراث الروسى بسحره الصقلى ، وروحانيته الناقدة التى نحسها عند أعلامه ، وبخاصة عند تولستوى ودستوفسكى اللذين يلوح لنا أن ميخائيل نعيمة قد تمثل روحيهما منذ شبابه الغض .

وأما عن تكوين ميخائيل نعيمة الروحى وهو التكوين الأبعد غورًا فى نفسه من التكوين الثقافى ، بل هو التكوين الذى نفذ إلى أعماق روحه وأخذ ينمو معه ويعمق على مر الأيام والتقدم فى الحياة ، فهو بلا ريب التكوين الذى تغذى بلباب المسيحية الرحيمة وما فى كتبها المقدسة ، وبخاصة العهد القديم ، من آيات شعرية نافذة التعبير السحرى ، فى مثل «المزامير» و«سفر الجامعة» و«سفر أيوب» و«نشيد الإنشاد» ولقد تأملنا فى كل مقال من مقالات نعيمة فلم نجد واحدًا منها يخلو من تعبير شعرى دينى أو من آية أو بضع آيات برمتها . ولا أظننى شعرت بمثل هذا الإحساس الشعرى الجميل عند قراءاتى لأحد من رجال أدبنا العربى المعاصر مثلما أحسست عندما قرأت أو أقرأ لميخائيل نعيمة أو للمرحوم إبراهيم عبد القادر المازنى أو جبران خليل جبران .